الترجيحات اللغوية للإمام الطبري
في تفسيره
(سورة الأنبياء والحج نموذجا)

إعداد الطالبة

مريم سعد عبد الرحمن آل سعد الكواري

تمهيدي ماجستير

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

الترجيحات اللغوية للإمام الطبري في تفسيره
(سورة الأنبياء والحج نموذجا)

مريم سعد عبد الرحمن آل سعد الكواري
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر
البريد الإلكتروني : dana_666@hotmail.com

الملخص :

هذا البحث دراسة للترجيحات اللغوية في تفسير الإمام الطّبــري (جــامع البيان عن تأويل آي القرآن) من خلال سورة الأنبياء والحج، اشتمل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، الفصل الأول: تمهيد، وفيه ثلاثة مباحــث: الإمام الطبري، تفسير الطبري، قواعد الترجيح. الفصل الثــاني: مــنهج الإمام الطبري في الترجيح. الفصل الثالث: قواعد الترجيح اللغويــة فــي سورتي الأنبياء والحج.

حاول الباحث في هذه الدراسة استخراج القواعد اللغوية في سورة الأنبياء والحج من تفسير الطبري من خلال خمس قواعد اعتمدها الطبري.

وتأتي أهمية هذا البحث من قيمته التفسيرية؛ إذ هو متعلق بمعرفة الــراجح في تفسير القرآن، وهو المقصود من التفسير، بل هو لبه وثمرته، وهو يعد فرصة لسبر واختبار "قواعد الترجيح"، من جهة التطبيق، وبيان أثرها في الدلالة على أرجح الأقوال.

ويهدف هذا البحث إلى: استخراج الترجيحات اللغوية من ســورة الحــج والأنبياء، وبيان قواعد الترجيح اللغوية التي اعتمــدها الإمــام الطبــري، وأثرها في اختيار التفسير الصحيح للآية.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليل.

وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها: غلب على تفسير الإمام الطبري التفسير بالمأثور، وكان ضابط اهتمامه باللغة عدم الخروج عــن أقــوال

السلف من الصحابة والتابعين، ومن ميزات تفسير الإمام الطبري اهتمامه باختلاف المفسرين والترجيح بين أقوالهم على أُسس علمية منهجية، وهو ما أراده الإمام من تفسيره أن يكون جامعًا لأقوال العلماء وآراء المجتهدين وترجيح الراجح بين أقوالهم، وقد اشتمل تفسير الطبري على ثروة لغوية متعددة، والتي تعتبر كنزًا ثميناً ومرجعًا مهمًّا في بابها، وقد اهتم الإمام الطبري بقواعد الترجيح المتعلقة بالسياق وباستعمال لغة العرب، وتميز بتحريرها والترجيح بها، وتلك البحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره لم تكن أمرًا مقصودًا لذاته، وإنما كانت وسيلة للتفسير، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض، كما يحاول بذلك – أحيانًا– أن يُوفِّق بين ما صحَّ عن السلف، وبين المعارف اللغوية، بحيث يُزيل ما يُتوهم من التناقض بينهما.

استعمل الطبري الترجيح اللغوي في سورة الأنبياء والحج في ثلاثين موضعًا، رجّح به خلاف المفسرين.

الكلمات المفتاحية: الطبري – قواعد – الترجيحات – اللغوية.

Linguistic preferences for Imam al-Tabari in his interpretation

(Surat Al-Anbiya and Hajj as a model)

Maryam Saad Abdul Rahman Al Saad Al-Kuwari

College of Sharia and Islamic Studies, Qatar University

Email : dana_666@hotmail.com

abstract

This research is a study of linguistic preferences in the interpretation of Imam al-Tabari (Jami al-Bayan on the interpretation of the verse of the Qur'an) through Surat al-Anbiya and al-Hajj. It includes an introduction, three chapters and a conclusion, the first chapter: an introduction, and it includes three topics: Imam al-Tabari, Tafsir al-Tabari, rules of weighting. The second chapter: Imam al-Tabari's approach to weighting. Chapter Three: Linguistic rules of weighting in the Suras of the Prophets and Hajj.In this study, the researcher tried to extract the linguistic rules in Surat al-Anbiya wa al-Hajj from Tafseer al-Tabari through five rules adopted by al-Tabari.

The importance of this search stems from its explanatory value. It is related to the most correct knowledge in the interpretation of the Qur'an, which is what is meant by the interpretation. Rather, it is its core and its fruit, and it is an opportunity to probe and test the "rules of weighting", from the point of application, and to show its effect in indicating the most likely sayings.

This research aims to: extract the linguistic weights from Surat Al-Hajj and the Prophets, and explain the linguistic weighting rules adopted by Imam

al-Tabari, and their effect on choosing the correct interpretation of the verse.In this research, I followed the inductive approach and the analysis method.One of the most important results that I reached was: Imam al-Tabari's interpretation prevailed over the interpretation of the tradition, and the guideline of his interest in language was not to deviate from the sayings of the Companions and Followers of the Salaf, and one of the features of Imam al-Tabari's interpretation was his interest in the different commentators and the weighting of their sayings on a scientific and methodical basis, which is what the Imam wanted His interpretation is to be a compilation of the sayings of scholars and the opinions of the mujtahids and the weighting of the most correct among their sayings. Al-Tabari's interpretation included multiple linguistic wealth, which is considered a valuable treasure and an important reference in its chapter. The linguistic approach that Ibn Jarir dealt with in his interpretation was not an intentional matter in itself, but rather a means of interpretation, meaning that by this he reaches the weighting of some sayings over some, as he tries - sometimes - to reconcile what was true of the predecessors with linguistic knowledge, so that he eliminates The illusory contradiction between them.Al-Tabari used the linguistic weighting in Surat al-Anbiya and al-Hajj in thirty places, which was more likely by the disagreement of the commentators.

Key Words: Al-Tabari -Grammar -Preferences –Linguistic

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشـــرف المرســـلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن من أشرف العلوم ما اتصل بكتاب الله – عز وجل –، ومن ثَـــمّ اهتم علماء المسلمين بدراسة القرآن الكريم، فاتصلت به علوم منها: علـــم أسباب النزول، وعلم إعجاز القرآن الكريم، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن الكريم، وعلم القراءات، وعلم عد الآيات، وعلم التفســـير، الذي كثرت المصنفات فيه منذ القرون الأولى للإسلام.

وقد تعددت طرائق المفسرين في النظر في القرآن الكريم، وتعددت مسالكهم في بيان معانيه وأحكامه وحِكَمه، واختلفت مناهجهم بين البســـط والإيجاز والتوسط كلٌّ حسب اتجاهه وثقافته، والظروف التي واكبت تأليف تفسيره، وكان من بين هؤلاء شيخ المفسرين الإمام محمـــد بـــن جريـــر الطبري، الذي تتناول هذا الدراسة قواعد ترجيحاته اللغوية في تفسيره من خلال سورة الأنبياء والحج، وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول:

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في:

ما مفهوم قواعد الترَّجيح اللغوية كمركب إضافي؟ وفيما تمثلت قواعد التَّرجيح اللغوية عند الإمام الطبري، والتي يمكن أن أستنبطها من ســـورة الأنبياء والحج؟ وكيف استعمل الإمام الطبري قواعد الترجيح اللغوية فـــي التَّرجيح بين أقوال المفسرين؟ كيف اعتمد الإمام الطبـــري علـــى اللغـــة كأساس في التفسير والترجيح؟.

أهمية البحث:

- ترتبط أهمية هذا البحث بأهمية الإمام الطبري وتفسيره، فمكانة الطبري وتفسيره لا تخفى على أحد.
- القيمة التفسيرية لهذا البحث؛ إذ هو متعلق بمعرفة الراجح في تفسير القرآن، وهو المقصود من التفسير، بل هو لبه وثمرته.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليل.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات حول الإمام الطبري وتفسيره، أما ما يتعلق بترجيحات الإمام الطبري، فمنها:

- قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين بن علي الحربي ، دار القاسم/الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

وهي دراسة عامة في الترجيحات، تناول في جزء منها الترجيحات اللغوية

- منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، دراسة نظرية تطبيقية، د. حسين بن علي الحربي، مركز تفسير الدراسات القرآنية –الرياض– ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٦ م.
- قواعد الترجيح عند الإمام الطبري من خلال تفسيره، الأنعام والأعراف والمائدة نموذجا، رسالة ماجستير، الطالبة: فتيحة عياطي، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي.
- منهج الإمام ابن جرير الطبريّ في الترجيح بين أقوال المفسّرين، الطالب: تمّام كمال موسى، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح – فلسطين، ٢٠٠٤م.

تناول فيه بدراسة مختصرة الترجيح على أساس اللغة في المبحث الخامس من الفصل الخامس.

- ترجيحات الإمام الطبري في تفسيره من قوله تعالى : (واذكروا الله في أيام معدودات) من سورة البقرة حتى قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) من سورة النساء : دراسة موازنة، عبد الحميد عبد الرحمن السحيباني

- ترجيحات الطبري النحوية في تفسيره جامع البيان عن تأويل آى القرآن، دراسة وصفية للنصف الأول من القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الطالبة: فاطمة على صالح، كلية التربية – جامعة أم درمان الاسلامية، ٢٠١٦ م.

أما عن دراسة تناولت ترجيحات الإمام الطبري اللغوية في سورة الأنبياء والحج فلم أقف على ذلك.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: تمهيد، وفيه ثلاثة مباحث: الإمام الطبري، تفسير الطبري، قواعد الترجيح.

الفصل الثاني: منهج الإمام الطبري في الترجيح:

المبحث الأول: منهج الإمام الطبري في تفسيره بوجه عام.

المبحث الثاني: اهتمام الإمام الطبري باختلاف المفسرين.

المبحث الثالث: أنواع اختلاف أقوال المفسرين.

المبحث الرابع: اللغة وقواعد الترجيح عند الإمام الطبري.

الفصل الثالث: قواعد الترجيح اللغوية في سورتي الأنبياء والحج:

المبحث الأول: القاعدة الأولى: كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو ردٌّ.

المبحث الثاني: القاعدة الثانية: العموم أولى من التخصيص.

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة: التأسيس أولى من التأكيد.

المبحث الرابع: القاعدة الرابعة: ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل القرآن عليه.

المبحث الخامس: القاعدة الخامس: يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول: تمهيد

المبحث الأول: الإمام الطبري

اسمه ومولده:

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، يُكنى بأبي جعفر، واتفق المؤرخون على أنه لم يكن له، بل إنه لم يتزوج أصلاً، ولكنه تكنّى التزامًا بآداب الشرع الحنيف، فقد كان النبي ﷺ يُطلِق الكُنَى على أصحابه(١). وُلِد سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م، وكانت ولادته بآمُل عاصمة إقليم طبرستان(٢). قال الخطيب البغدادي: "استوطن الطبري بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته"(٣).

نشأته:

نشأ الطبري بآمل، وتربى برعاية والده، وتفرَّس فيه النباهة والذكاء والرغبة في العلم، فتولى العناية به ووجَّهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، فقد رأى أبوه رؤيا في منامه أن ابنه واقف بين يدي الرسول ﷺ ومعه مخلاة مملوءة بالأحجار، وهو يرمي بين يدي رسول الله ﷺ، وقصَّ الأب على مُعَبِّرٍ رؤياه فقال له: "إن ابنك إن كبر نصح في دينه، وذبَّ عن شريعة ربه". ويظهر أن الوالد أخبر ولده بهذه الرؤيا وقصها عليه عدة مرات؛ فكانت حافزًا له على طلب العلم والجِد والاجتهاد فيه(٤)، فوجَّهه والده إلى العلماء ومعاهد الدراسة، وساعده على استغلال كل هذه الطاقات دون أن يشغله بشيء من شئون الحياة ومطالبها، وخصص له المال

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤ هـ)، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف–بيروت، (١٤٥/١١).

(٢) الحموي، أبوعبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت: ٦٢٦ هـ)، **معجم الأدباء**، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ هـ – ١٩٩١م، الطبعة: الأولى، (٢٤٢/٥).

(٣) الخطيب، أحمد بن علي أبوبكر البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، **تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٦٣/٢).

(٤) معجم الأدباء ٢٤٧/٥، د/ الزحيلي، محمد، **الإمام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين**، دار القلم –دمشق– ٢٠٠٨م، ص٣١.

للإنفاق على العلم والتعلم، فما كاد الصبي الصغير يبلغ السن التي تؤهله للتعليم، حتى قدَّمه والده إلى علماء آمل، وسرعان ما تفتح عقله، وبدت عليه مخايل النبوغ والاجتهاد، حتى قال عن نفسه: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة"(١).

صفات الإمام الطبري:

كان الطبري –رحمه الله– موهوب الغرائز، وقد حباه الله –تعالى– بذكاء خارق، وعقل متقد، وذهن حاد(٢).

وكان–رحمه الله– يتمتع بحافظة نادرة، فجمع عدة علوم، وحفظ موضوعاتها وأدلتها وشواهدها، وإن كُتُبه التي وصلتنا لأكبر دليل على ذلك، حتى قال عنه ابن المفلس: "والله إني لأظن أبا جعفر الطبري قد نسي مما حفظ إلى أن مات ما حفظه فلان طول عمره"(٣).

وكان الطبري –رحمه الله– على جانبٍ كبير من الورع والزهد، والبُعد عن مواطن الشُبَه، واجتناب محارم الله تعالى، والاقتصار في المعيشة على ما يَرِدُهُ من ريع أرضه وبستانه الذي خلّفه له والده(٤). قال عنه ابن كثير: "وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم"(٥). وكان الطبري –رحمه الله تعالى– زاهدًا في

---

(١) ياقوت الحموي: السابق نفسه، الصفحة نفسها، سزكين، فؤاد، **تاريخ التراث العربي**، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى – د سعيد عبد الرحيم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، (١/ ١٥٩). د/ محمد الزحيلي: السابق نفسه ص٣٧.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٤٣/٥. د/ محمد الزحيلي: الإمام الطبري ص٦١، ٦٢.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٥٩/٥. د/ محمد الزحيلي: الإمام الطبري ص٦٢.

(٤) السبكي، تاج الدين بن علي بن عبدالكافي (ت: ٧٧١هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، دارالنشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع- ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبدالفتاح محمد الحلو، (١٢٥/٣).

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٤٦.

الدنيا، غير مكترث بمتاعها ومفاتنها، وكان يكتفي بالقليل أثناء طلبه للعلم، وبما يُقيم به أودَه، ويمتنع عن قبول عطايا الملوك والحكام والأمراء(١).

وكان–رحمه الله– عفيف اللسان، يحفظه عن كل إيذاء؛ متوقفًا عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات(٢).

شيوخ الإمام الطبري:

من شيوخ الطبري: إسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وأحمد بن منيع البغوي، ومحمد بن حميد الرازي، وأبو همام الوليد بن شجاع، وأبو كريب محمد بن العلاء، ويعقوب ابن إبراهيم الدورقي، وأبو سعيد الأشج، ومحمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، وغيرهم(٣).

تلامذة الإمام الطبري:

من تلامذته: مخلد بن جعفر، وأحمد بن عبد الله بن الحسين الجُبْني الكبائي، وأحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن عبد الله الشافعي، وأحمد بن موسى بن العباس التميمي، وعبد الله بن أحمد الفرغاني، وعبد الواحد بن عمر بن محمد أبو طاهر البغدادي البزاز، ومحمد بن أحمد بن عمر أبو بكر الضرير الرملي، ومحمد بن محمد بن فيروز، وغيرهم.

مؤلفات الإمام الطبري:

اشتهر الطبري –رحمه الله– بكثرة مؤلفاته،يقول ياقوت الحموي: "وجدنا في ميراثه من كتبه أكثر من ثمانين جزءًا بخطه الدقيق"(٤)، ومن مؤلفاته:

"جامع البيان في تأويل القرآن"، المعروف بتفسير الطبري، "تاريخ الأمم والملوك"، المعروف بتاريخ الطبري، "تهذيب الآثار" وهو كتاب في

(١) د/ محمد الزحيلي: الإمام الطبري ص٦٨.
(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٥/ ٢٦٥.
(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغدد ٢/ ١٦٢.
(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٥/٢٦٥.

الحديث، بقيت منه بقايا طُبعت في أربع مجلدات، "التبصير في معالم الدين"، "آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة"، "اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام"، "صريح السنة"، يوضح فيه مذهبه وعقيدته، "الفصل بين القراءات"، "آداب القضاة"، "آداب النفوس"، "آداب المناسك"، "ذيل المذيل"، "اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام"، المعروف باختلاف الفقهاء وهو في علم الخلاف(١).

مكانته العلمية، وآراء العلماء فيه:

للطبري –رحمه الله– مكانته كبيرة، قال عنه ياقوت الحموي– وكان معاصرًا له–: "أبو جعفر الطبري المحدِّث، الفقيه، المقرئ، المؤرِّخ، المعروف، المشهور"(٢). وقال الخطيب البغدادي: "كان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات كلها، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها: صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم...، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم"(٣). وقال القفطي: "العالم الكامل، الفقيه، المقرئ، النحوي، اللغوي، الحافظ، الإخباري، جامع العلوم، لم يُرَ في فنونه مثله، وصنف التصانيف الكبار"(٤). وقال عنه ابن خزيمة: "ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير"(٥). وقال ابن

(١) د/ محمد الزحيلي: الإمام الطبري ص٥١– ٥٣.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٤٢/٥.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣.

(٤) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، (ت: ٦٤٦ هـ)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م. (٣/ ٨٩).

(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ)، **العبر في خبر من غبر**، دار النشر: مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٤، الطبعة الثانية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، (١٥٢/٢).

كثير: "كان أحد أئمة الإسلام علمًا وعملاً بكتاب الله تعالى وسُنّة رسوله صلى الله عليه وسلم"(١). وقال الإمام الذهبي: "الإمام الجليل، المفسر أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة... من كبار أئمة الإسلام المعتمدين"(٢) وقال عنه الذهبي أيضًا: "كان ثقة حافظًا صادقًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، عَلاّمةً في التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات واللغة، وغير ذلك"(٣).

وفاته:

توفي الطبري وقت المغرب، عشية يوم الأحد ٢٦ من شهر شوال سنة، ٣١٠ هـ، قال ابن كثير، توفي الطبري عن عمر ناهز الثمانين بخمس سنين، وفي شعر رأسه ولحيته سواد كثير، ودفن في داره؛ لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا دفنه نهارًا، ونسبوه إلى الرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من ذلك كله. بل كان أحد أئمة الإسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة رسوله"(٤). واجتمع في جنازته من لا يحصيهم عددًا إلا الله، وصُلِّي على قبره عدة شهور ليلاً ونهارًا، ودُفِن في أضحى النهار من يوم الاثنين غد ذلك اليوم في داره الكائنة برحبة يعقوب ببغداد، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب(٥).

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٤٤.

(٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، (ت: ٧٤٨ هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ٩٠/٦.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣، الطبعة التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ٢٧٠/١٤.

(٤) البداية والنهاية: ١٤٧/١١.

(٥) تاريخ بغداد: ١٦٦/٢

المبحث الثاني: تفسير الطبري

أملى ابن جرير كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن على تلاميذه من سنة (٢٨٣ هـ) إلى سنة (٢٩٠ هـ)، ثمّ قُرِئ عليه سنة (٣٠٦)، وقد أطبق العلماء على الثناء على كتابه.

قال عنه النووي: "لم يصنف أحد مثله"(١). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وتفسير محمد ابن جرير الطبري من أجلِّ التفاسير وأعظمها قدرًا..." (٢). وقال أيضًا: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي"(٣). وقال الذهبي: "وله كتاب التفسير، لم يصنف أحد مثله"(٤). وقال القفطي: "وصنف التصانيف الكبار، منها تفسير القرآن الذي لم يُرَ أكبر منه، ولا أكثر فوائد"(٥). وقال السيوطي: "وكتابه أجلُّ التفاسير وأعظمها... فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك"(٦). وقال الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور: "فكان جديرًا بالتفسير حين تناوله الطبري بتلك المشاركة الواسعة، وذلك التفنُّن العجيب أن يبلغ به أوجه، وأن يستقر على الصورة الكاملة التي تجلت فيها منهجيته، وبرزت بها خصائصه مسيطرة على كل ما ظهر من بعده من تأليف لا تحصى في التفسير"(٧). وقال أبو حامد الإسفراييني

---

(١) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (٧٨/١).

(٢) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، (ت: ٧٢٨)، **مجموع الفتاوى الكبرى**، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (٣٦١/١٣).

(٣)السابق نفسه: ١٣/ ٣٨٥.

(٤)الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٠.

(٥) القفطي: إنباه الرواة ٣/ ٨٩.

(٦) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت: ٩١١ هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، دار النشر: دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: سعيد المندوب، (٥٠٠/٤).

(٧) ابن عاشور، محمد الفاضل: **التفسير ورجاله**، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠ هـ، ص٣١.

الفقيه: "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصِّل تفسير ابن جرير، لم يكن كثيرًا"(١).

تحقيق التفسير وطبعاته:

طُبع تفسير الطبري في ثلاثين جزءًا في أحد عشر مجلدًا، وكانت الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣هـ بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق في مصر، كما طُبع في ثلاثين جزءًا كبيرًا مرتين بشركة مصطفى البابي الحلبي. كانت الثانية منهما سنة "١٣٧١هـ – ١٩٥٤م".

ثم شرع الأستاذ محمود محمد شاكر بتحقيق هذا الكتاب العظيم تحقيقًا علميًّا دقيقًا، بعد أن تبين له أن ما طُبع من تفسير الطبري كان فيه خطأٌ كثير وتصحيف وتحريف، وأن من نقل عنه من القدامى تخطوا بعض تلك التصحيفات، فتبين له أن التصحيف قديم في المخطوطات، فرأى من الواجب أن يُصدِّر هذا التفسير ويُنشَر على وجهٍ علميٍّ دقيق، فتولى النظرَ في أصوله المخطوطة والمطبوعة، وراجعه على كتب التفسير التي نَقَلت عنه، وصحَّح نصَّ الكتاب وعلَّق عليه، وبيَّن ما استُغلق من عبارته. وشرح شواهده الشعرية، ولم يَأْلُ جهدا في خدمة الكتاب والرجوع إلى كل مصدر يساعد على تقويم العبارة وتصحيح النص، وما يلحق بهذا، كما رجع إلى المصادر الأساسية في الأمور اللُّغَوِيَّة والنَّحْوِيَّة.. وغير ذلك، وبيّن طريقة الطبري في الاستدلال ببعض الروايات عن أهل التوراة والإنجيل، وأنه لم يعتمد ذلك لتهيمن على كتابه، بل لم تَعْدُ مقام الاستدلال بالشعر القديم على فهم معنى كلمة أو للدلالة على سياق جملة، وألحق بكل جزء من أجزاء الكتاب عدة فهارس تُسَهِّل الرجوعَ إليه والاستفادة منه، وقد شارك الشيخُ أحمدُ محمد شاكر –رحمه الله– أخاه الأستاذَ محمود محمد شاكر –رحمه الله– في خدمة هذا الكتاب، فنظر في أسانيده، وخرَّج أحاديثه وراجع بعض أجزائه.

(١) الذهبي: العبر في خبر من غبر ١٥٢/٢.

وقد استمر العمل في تحقيق الكتاب بداية من عام ١٣٧٤هـ، وتم إصدار ثلاثة عشر جزءًا حتى عام ١٣٧٧هـ حيث توفي العلامة أحمد شاكر –رحمه الله– في نهاية شهر ذي القعدة عام ١٣٧٧هـ، وقد عبر عن ذلك محمود شاكر في مقدمة الجزء الثالث عشر فقال: "وبعد: ففي الساعة السادسة من صبيحة يوم السّبت السّادس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٧٧(١٤ يونيه سنة ١٩٥٨م) قضى الله قضاءه بالحق، فألحق بالرفيق الأعلى أخي وشقيقي السيّد أحمد محمد شاكر، مودعاً بالدّعاء، محفوفاً بالثّناء"(١).

ثم صدر الجزء الرابع عشر سنة ١٣٧٨هـ، والجزء الخامس عشر سنة ١٣٨٠هـ، والجزء السادس عشر والأخير سنة ١٣٨٨هـ، وتوقف عن الآية رقم ٢٨ من سورة إبراهيم.

ويعود سبب توقف محمود شاكر عن الاستمرار في التّحقيق هو خلاف نشأ بينه وبين دار المعارف الّتي قامت على نشر الكتاب فيما ذكر من تحدَّث عنه وتَرجَم له مؤخراً [محمود محمد شاكر لعمر القيَّام ص ٦٧](٢)، وقد توفي الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله عام ١٤١٨هـ ولم يتم تحقيق الكتاب إلى الآن(٣).

وهذا الكتاب قد هذَّبه الدكتور بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، وطُبع بمؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٩٤م، وحقّقه أيضا الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التّركي في ستّة وعشرين مجلّدا، وطُبع بدار هجر سنة ٢٠٠١م.

---

(١) ابن جرير، أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٣/١).

(٢) انظر: القيام، عمر حسن القيام، **محمود محمد شاكر الرجل والمنهج**، دار البشير/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م،ص ٦٧.

(٣) انظر: الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم، **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر**، مؤسسة الرسالة، ط١٩، ٢٠٠١م، هامش ص ١٣٥، ١٣٦.

المبحث الثالث: قواعد الترجيح

تعريف الترجيح:

الترجيح لغة: قال ابن فارس: "الراء، والجيم، والحاء: أصل واحد، يدلُّ على رَزَانةٍ، وزيادةٍ، يقال: رَجَحَ الشيء، وهو راجح، إذا رَزَن، وهو من الرجحان"(١).

ويقال: أرْجَحَ الميزان: أي أثقله حتى مال، وأرجحت لفلان، ورجَّحتُ ترجيحاً، إذا أعطيته راجحا(٢).ومن تعريفاته عند الأصوليين: "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل"(٣).

وقال بعضهم: بيان اختصاص الدليل بمزيد قوَّة عن مقابله ليعمل بالأقوى(٤).

تعريف الاختيار:

الاختيار لغة: قال ابن فارس: "الخاء، والياء، والراء، أصله العطف، والميْل، ثمَّ يحمل عليه، فالخير خلافُ الشر، لأن كلَّ أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه"(٥).

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، أبوالحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) دارالنشر: دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (٢/ ٤٨٩). مادة (رَجَح).

(٢) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت: ٧١١ هـ)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، (٤٤٥/٢)، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ هـ)، **القاموس المحيط**، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، (٢٧٩/١). مادة (رجح).

(٣) ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن علي الفتوحي (ت: ٩٧٢ هـ)، **شرح الكوكب المنير**، دارالنشر: جامعة أم القرى– معهد البحوث العلمية – ١٤١٣ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، (٦١٦/٤).

(٤) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله (ت: ٧٩٤ هـ)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار النشر: دار الكتب العلمية– لبنان/ بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، (٤٢٥/٤).

(٥) معجم مقاييس اللغة: ٢٣٢/١، مادة (خير).

وقال بعض أهل اللغة: "الاختيار: هو طلب ما هو خير، وفعله". وقال بعضهم: الاختيار: الإرادة مع ملاحظة ما للطرف الآخر، كأن المختار ينظر إلى الطرفين، ويميل إلى أحدهما"(١).

والاختيارُ: الاصطفاء، وخار الشيءَ واختاره: انتقاه(٢).

وفي الاصطلاح: ترجيح الشيء،وتخصيصه، وتقديمه على غيره(٣).

والاختيار والترجيح في التفسير بمعنى واحد، والمراد بهما: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية، وتقديمه على غيره، لدليل.

وقد فرَّق بينهما بعض الباحثين(٤)، فجعل **الترجيح:** تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية على غيره لدليل، أو تضعيف ما سواه من الأقوال، **والاختيار:** الميْل إلى أحد الأقوال في تفسير الآية، مع تصحيح بقية الأقوال.

ولم أرَ من فرَّق بينهما من المتقدمين، بل إنهم يوقعون أحدهما بمعنى الآخر، ويعبرون بهما معا في بعض المواضع، والتعريف اللغوي يعضد ذلك ؛ فإن الميل إلى أحد الأقوال يقتضي تضعيف غيره، بغض النظر عن درجة التضعيف؛ إذْ لو كان القولان متساويين عند الناظر فيهما لم يختر، أو يرجح أحدَهما، بل يتوقف.

---

(١) الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٠٩٤ هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ص ٦٢.

(٢) لسان العرب ٢٦٥/٤. مادة (خير).

(٣) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م، (١١٩/١).

(٤) وهو الدكتور حسين الحربي في ترجيحات ابن جرير في التفسير ص٦٦، وتبعه آخرون.

نعم الاختيار والترجيح درجات[١]، فأحياناً يقطع المفسِّر بصواب أحد الأقوال، ورجحانه على غيره، ويبطل ما سواه أو يضعِّفها تضعيفًا شديدًا، وأحياناً لا يتوفر له من الأدلة ما يجعله يقطع بصوابه وصحته، ولا يقوم بأدلة الأقوال الأخرى من الضَّعفِ ما يجعلها غير معتبرة، ولكنْ عند الموازنة تَرْجِحُ كفَّةُ أحد الأقوال، وهذا هو الترجيح. وقد درج على عدم التفريق بين هذين المصطلحين الفقهاء والنحويون وغيرهم.

التعريف بقواعد الترجيح عند المفسرين اصطلاحا:

"هي ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى، فموضوع القواعد الترجيحية إذن هو أقوال المفسرين المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى، وغايتها معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله، ومن ثم العمل بها اعتقادا إن كانت من آيات الأحكام العملية وسلوكا وأدبا إن كانت من الأخلاق والآداب، وكذلك تنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها من أقوال شاذة أو ضعيفة، أو مدسوسة فيها لمذهب عقدي ونحو ذلك[٢].

أهمية الترجيح بين الأقوال في التفسير:

من يُطالع كتب التفسير كثيرًا ما يقف على تعدد الأقوال في تفسير لفظ قرآني، أو آيةٍ قرآنية، وغير ذلك من تعددٍ في الأقوال، والآراء. وقد يختلط فيه الخطأ بالصواب، والحق بالباطل. لذلك حرص المفسرون على وضع قواعد تفسيرية، وعلى الرغم من أهمية دراسة قواعد الترجيح، إلا أنهلم يُفرَد هذا النوع بالتصنيف والتأليف عند العلماء المتقدمين، بل بثوا

(١) ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت: ٧٤١ هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة، (٤/١).

(٢) الحربي، حسين بن علي، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، دار القاسم/الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ٣٩/١، ٤٠.

تلك القواعد في أثناء تفاسيرهم، وأحياناً في مقدماتهم، **وتتمثل أهمية قواعد الترجيح وتطبيقها في نقد أقوال المفسرين فيما يلي:**

- تفيدنا قواعد الترجيح في معرفة الراجح من الأقوال في تفسير الآية، مما يسهم في معرفة وحفظ أرجح الأقوال في تفسير آيات الكتاب الكريم بعد تعذر حفظ كل الأقوال.
- الناظر في أقوال السلف في تفسير القرآن، والقارئ لكتب التفسير يجد أن الكثير من الآيات تحتمل أكثر من قول، وهذه الأقوال التي ترد في التفسير متفاوتة في القوة، ومختلفة في المعنى، وعن طريق الترجيح بين الأقوال يمكن ضبط هذه الأمور.
- إن تحقيق أقوال المفسرين، والتمييز بينها، ومعرفة مراتبها من مقاصد علم التفسير، ومن وسائل التحقيق والتمييز بين الأقوال استخدام قواعد الترجيح.
- دراسة مواضع الخلاف في التفسير، وبيان الصحيح من الأقوال وتحديد الراجح منها هو السبيل الأمثل لتنقية كتب التفسير من رديء الأقاويل، وضعيف الروايات، وشواذ المسائل. وهذه التنقية من أهم ما ينبغي أن يعتني به أهل العلم المتخصصون؛ حتى يقوموا بواجب النصح للمسلمين، بتعليمهم معاني كلام الله تعالى على الوجه الأكمل.
- كما أن اختيار القول الأقوى معنى، والأفصح لفظًا، والأكثر دلالة على المقصود من الأقوال المقبولة في تفسير الآيات يفيد في حمل كلام الله– عز وجل– على أكمل الوجوه.
- إن الدارس للتفسير يحتاج للتمييز بين هذه الأقوال، ويحرص على معرفة الصحيح من الضعيف، والراجح من المرجوح، كما أنه يبحث عن الأقوى من الأقوال، والأقرب إلى المراد ليقدمه على غيره. وبهذا تتفاوت منازل أهل العلم بالتفسير.

ومن هنا كانت الحاجة ماسّة للترجيح بين الأقوال، والاختيار للأقوى منها حتى يُقدَّم على غيره، ويُوضع في منزلته.

قواعد الترجيح عند المفسرين:

تنوعت طرائق الترجيح عند المفسرين، فمن هذه القواعد التي استخدمها بعض المفسرين في الترجيح بين الروايات التفسيرية(١):

- قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني.
- قواعد الترجيح المتعلقة بالقراءات ورسم المصحف.
- قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني.
- قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة النبوية.
- قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار عن الصحابة ومن بعدهم.
- قواعد الترجيح المتعلقة بالقرائن.
- قواعد الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير.
- قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب، وهي موضوع دراستنا هذه في سورة الحج والأنبياء من تفسيره.

(١) انظر: علي بن الحسين الحربي، **قواعد الترجيح عند المفسرين**: ٦٩/١ : ٥٨٣، والمثبت من عنواين بعض الفصول والمباحث، حيث يُدرج تحت كل قاعدة فروعَها.

الفصل الثاني: منهج الإمام الطبري في الترجيح:

المبحث الأول: منهج الإمام الطبري في تفسيره بوجه عام[1]

يمكن أن نُوجز منهج الإمام الطبري في تفسيره **في النقاط التالية:**

- قدَّمَ الطبريُّ لتفسيرِه بمقدمة ذكر فيها جملة من مسائل علوم القرآن، منها: اللغة التي نزل بها القرآن والأحرفُ السبعة، والمعربُ، وطرق التفسير، وتأويل القرآنِ بالرأي، وذِكر من تُرضى روايته ومن لا تُرضى، ثمَّ ذكر القولَ في تأويلِ أسماء القرآنِ وسورِه وآيه، ثمَّ القول في تأويلِ أسماء فاتحة الكتاب، ثمَّ القول في الاستعاذةِ، ثُمَّ القول في البسملةِ، ثمَّ ابتدأ التفسيرَ بسور الفاتحة، حتى ختم بسورةِ النَّاس.
- كان يُجزِّئ الآيةَ التي يُريدُ تفسيرَها إلى أجزاء، فيفسرها جملة جملة، ويعمدُ إلى تفسير هذه الجملة، فيذكر المعنى الجملي لها بعدها، أو يذكره أثناء ترجيحه عن كان هناك خلاف في تفسيرها.
- إذا لم يكن هنا كخلاف بين أهل التأويل فسَّر تفسيرًا جُمْلِيًّا، ثم قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.
- وإذا كان بين أهل التأويل خلاف، فقد يذكر التفسير الجملي، ثم ينص على وجود الخلاف، ويقول: واختلفَ أهلُ التَّأويلِ في تأويلِ ذلكَ، فقال بعضهم فيه نحوَ الذي قلنا فيه.
- وقد يذكر اختلاف أهل التأويل بعد المقطع المفسَّرِ مباشرةً، ثمّ يذكر التفسير الجملي أثناء ترجيحه.
- ومن عادته أن يُترجم لكل قولٍ بقوله: فقال بعضهم ....، ثمّ يقول: ذكر من قال ذلك، ثمّ يذكر أقوالهم مسندًا إليهم بما وصله عنهم من أسانيد. ثمَّ يقول: وقال غيرهم، وقال آخرون ...، ثمَّ يذكر أقوالهم، فإذا انتهى من عرضِ أقوالِهم، رجَّحَ ما يراه صوابًا، وغالبًا ما تكون عبارته: قال أبوجعفر: والقول الذي هو عندي أولى بالصواب، قول من قال، أو يذكر عبارة مقاربةً لها، ثمّ يذكر ترجيحَه، ومستندَه في

---

(١) انظر:الذهبي، محمد حسين (ت: ١٩٧٥م)، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة. (١/١٥١ : ١٦٠) بتصرف.

الترجيحِ، وغالبًا ما يكون مستندُه قاعدةً علميَّة ترجيحيَّةً، وهو مما تميَّزَ به في تفسيرِه.

- اعتمدَ أقوال ثلاث طبقات من طبقات المفسرين، وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، ولم يكن له ترتيب معيَّن يسير عليه في ذكر أقوالهم، وإن كان يغلب عليه تأخير الرواية عن ابن زيد (ت: ١٨٢هـ).
- ويحرص على ذكر ما ورده عنهم بالإسناد إليهم، ولو تعدَّدت الأسانيد في القول الواحد.
- وقد يورد قول الواحد منهم ويعتمده إذا لم يكن عنده غيره.
- ولم يخرج في ترجيحاته عن قول هذه الطبقات الثلاث إلا نادرًا، وكان شرطه في كتابه أن لا يخرج المفسر عن أقوال هذه الطبقات الثلاث.
- ولهذا ردَّ أقوال أهل العربية المخالفة لأقوال السلف أدنى مخالفةٍ، ولم يعتمد عليها إلا إذا لم يرد عن السلف في مقطع من مقاطع الآية شيء.
- وإذا ذكر علماء العربية فإنه لا يذكر أسماءهم إلا نادرًا، وإنما ينسبهم إلى علمهم الذي برزوا فيه، وإلى مدينتهم التي ينتمون إليها، كقوله: "قال بعض نحوي البصرة"، وغالبا يروي عنهم ما يتعلق بالإعراب.
- اعتمدا لطبري النظر إلى صحة المعنى المفسَّرِ به، وإلى ملاءمته للسياق، هذا هو المنهج العامَّ في تفسيره، وكان يعتمد على صحة المعنى في الترجيحين الأقوال.
- وكان لا يبين درجة إسناد الآثار إلا نادرًا، ولم يكن من منهجه نقد أسانيد التفسير، كما أنه لم يعمد إلى ما يقال من طريقة: من أسندك فقد أحالك.
- وكان -غالبا- لا يفرق بين طبقات السلف في الترجيح، وقد يقدم قول أتباع التابعين أو التابعين على قولا لصحابي.
- وإن كان في بعض المواطن يقدم قول الصحابة، خصوصًا في ما يتعلق بالنُّزول.
- يقدم قول الجمهور على قول غيرهم، وقد يعدُّه إجماعًا، ويَعُدُّ القول المخالف لهم شاذًّا.

- يَعُدُّ عدم قول السلف بقولٍ دلالة على إجماعهم على تركه، ويرجح بهذه الحجة عنده.
- كان معتنيًا بأقوال السلف من الصحابة والتابعين ويرد على من خالفهم.
- لم يلتزم بالأخذ بقول الصحابي في الغيبيات.
- لم يُعْرِضْ عن مرويات بني إسرائيل لأنه تلقاها بالآثار التي يروي بها عن السلف، وقد يبني المعنى على مجمل ما فيها من المعنى المبيِّن للآية.
- كانت له عناية بالمفردات اللغوية والمعاني المنقولة إليها مع بيان مناسبة النقل.
- يؤخر أقوال أهل العربية، ويجعلها بعد أقوال السلف، وأحيانًا بعد ترجيحه بين أقوال السلف.
- لا يقبل أقوال اللغويين المخالفة لأقوال السلف، ولو كان لها وجه صحيح في المعنى.
- قد يذكر الشعر الذي يدلُّ على استعمال اللفظة في المعنى الذي حمله عليه.
- أما منهجه في التعامل مع القراءات القرآنية فيقوم على رد القراءات التي لم ترد عن أئمة القراءات، أما القراءات الثابتة فكان له اختيارٌ فيها؛ فهو أحيانًا يرفض بعضها لمخالفتها الإجماعٍ، وأحيانًا أخرى يفضِّل قراءة على أخرى لوجهٍ يراه، ويكتفي حينًا بالتسوية بين تلك القراءات دون ترجيح.
- تعرض الطبري لبعض النواحي الكلامية عند تفسير كثير من آيات القرآن الكريم، مما يشهد له أنه كان عالمًا في أمور العقيدة، فهو إذا ما طبّق أصول العقائد على ما يتفق مع الآية أفاد في تطبيقه، وإذا ناقش بعض الآراء الكلامية أجاد في مناقشته، وهو في جدله وتطبيقه ومناقشته موافق لأهل السنة في آرائهم.

المبحث الثاني: اهتمام الإمام الطبري باختلاف المفسرين والترجيح والاختيار بين أقوالهم

إن تحقيق أقوال المفسرين –السقيم منها والصحيح– وتمييز الراجح من المرجوح، وذلك أن أقوال الناس على مراتب: فمنها الصحيح الذي يعول عليه، ومنها الباطل الذي لا يُلتفت إليه، ومنها ما يَحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا، والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا من مقاصد علم التفسير(١).

والإمام الطبري يتميز في تفسيره بميزة كبيرة، وهي اهتمامه باختلاف المفسرين والترجيح بين أقوالهم على أُسس علمية منهجية، وهو ما أراده الإمام من تفسيره أن يكون جامعًا لأقوال العلماء وآراء المجتهدين وترجيح الراجح بين أقوالهم، وظهر هذا جليًّا في كل تفسيره، حيث يَذكر أقوالَ المفسرين في الآية، ويحكم بينهم ويرجح ويختار، مستخدما قواعد شتى للترجيح، وإن لم يكن نص عليها نظريا، إلا أنه طبقها عمليًّا. فيُلاحظ –من خلال تفسيره– اهتمامه بقواعد الترجيح المتعلقة بالسياق، وقواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني، وتميزه في تحريرها، والترجيح بها على عكس قواعد الترجيح المتعلقة بالضمائر، فإن اهتمامه بها قليل.

وكانت طريقة الإمام الطبري في التعامل مع روايات المفسرين المختلفة في النص القرآني، فكان يذكر الآية، ثم الموضع الذي اختلفوا فيه، ويذكر القول ومن قال به – إن كانوا أكثر من واحد–، مُعددًا أقوالهم، ثم يذكر ترجيحه، ويعلله، وكثيرا ما يرد على آرائهم. وقد يذكر تفسيره

(١) ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/١.

الراجح في صدر الكلام، ثم يذكر من قال به من المفسرين، ثم الترجيح، والتعليل.

وفيما يلي في عرض المادة التطبيقية من سورة الأنبياء والحج يتضح هذا الأمر أكثر بالأمثلة، فقد استغنيت عن ذكر الأمثلة هنا، مكتفيا بما سيُعرض هناك.

المبحث الثالث: أنواع اختلاف أقوال المفسرين

يمكن تقسيم اختلاف المفسرين إلى قسمين: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

اختلاف التنوع: هو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها، إذا كانت معانٍ صحيحة غير المتعارضة، ولاختلاف التنوع وجوه، منها: ما يكون كل من القولين في معنى قول الآخر، لكن العبارتين مختلفتان، ومنه ما يكون المعنيان متغيران لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر(١).

مثاله:

- قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٨]، يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقولكم: إنه اتخذ زوجة وولدًا وفريتكم عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى "تصفون" تكذبون.

وقال آخرون: معنى ذلك تشركون.

وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه؛ لأن مَن وَصَفَ اللهَ بأنَّ له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك وأشرك به ووصفه بغير صفته. غير أن أولى العبارات أن يعبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه(٢).

- القول في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٩].

---

(١) الطيار، مساعد بن سليمان، **فصول في أصول في التفسير**، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، ص٥٧.

(٢) انظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت: ٣١٠ هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ هـ، (١٧/ ١١).

قال الإمام الطبري: يقول تعالى ذكره: وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوًا، وله ملك جميع من في السماوات والأرض، والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ولا يعيون من طول خدمتهم له، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته، وكل من في السماوات والأرض عبيده، فأنى يكون له صاحبة وولد، يقول: أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ثم ذكر أقوالهم:

عن ابن عباس قوله: ولا يستحسرون لا يرجعون، وعن مجاهد قوله: ولا يستحسرون لا يحسرون، وعن قتادة قوله: ولايستحسرون قال لا يعيون، وعن ابن زيد فيقوله: "لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون" قال: "لا يستحسرون" لا يملون ذلك لاستحسار، قال: ولا يفترون ولايسأمون.

هذا كله معناه واحد والكلام مختلف وهو منقولهم: بعير حسير إذا أعيا وقام[1].

اختلاف التضاد: هو القولان المتنافيان، بحيث لا يمكن القول بهما معا، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر[2]. وأمثلته كثيرة نعرضها في ترجيحات الإمام الطبرية اللغوية.

(١) انظر: المصدر السابق: ١٢/١٧.

(٢) مساعد الطيار: فصول في أصول في التفسير: ص٥٧.

المبحث الرابع: اللغة وقواعد الترجيح عند الإمام الطبري

اللغة في تفسير الإمام الطبري:

معرفة العلوم اللغوية: من نحوٍ، وصرفٍ، وعروضٍ، والأدبية: من شعرٍ، ونثرٍ، وكلامِ العرب، من العلوم الضروريّة لفهم وتفسير المراد من كلام الله –تعالى–؛ لذا اتّخذ الطبري اللغة بمباحثها منهجًا أساسيًّا في تفسيره، حيث وظّف اللّغة لخدمة المعنى المستنبط من الآية، وهو ما دفعه في كثير من المواضع إلى أن يعتمد المنطق اللّغوي بما يتبادر منه من المعاني الظاهرة الأولى باعتباره هو الأساس الذي ينطلق منه إلى التعمّق في معاني الآيات، ودفعته عنايته بالمباحث اللّغويّة إلى استعراض ثقافته الشعريّة.

يقول الدكتور الذهبي: "والحق أن ما قدَّمه لنا ابن جرير في تفسيره من البحوث اللغوية المتعددة والتي تعتبر كنزًا ثمينًا ومرجعًا مهمًّا في بابها يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب، معرفةً لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ. ونرى أن ننبه هنا إلى أن البحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره لم تكن أمرًا مقصودًا لذاته، وإنما كانت وسيلة للتفسير، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض، كما يحاول بذلك –أحيانًا– أن يُوفِّق بين ما صحَّ عن السلف، وبين المعارف اللغوية، بحيث يُزيل ما يُتوهم من التناقض بينهما"(١).

ضابط التفسير اللغوي عند الإمام الطبري:

اعتمد الطبري في تفسيره على الأثر، ثم لغة العرب، وقد بيَّن ذلك في مقدمة تفسيره، قال:

---

(١) محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**: ١/١٥٧.

"فأحقُّ المفسرين بإصابة الحق –في تأويلِ القرآنِ الذي إلى عِلم تَأويله للعباد السبيلُ– أوضحُهم حُجة في ما تأوّل وفسَّر، مما كان تأويله إلى رسول الله ﷺ دون سائر أمته، من أخبار رسول الله ﷺ الثابتة عنه: إمَّا من جهة النقل المستفيض، في ما وُجِد فيه من ذلك عنه النقلُ المستفيض، وإمَّا من جهة نقل العدول الأثبات، في ما لم يكن فيه عنه النَّقلُ المستفيض، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته؛ وأصحُّهم برهانًا – في ما ترجَم وبيّن من ذلك– مما كان مُدْرِكًا علمه من جهة اللسان: إمَّا بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من مَنْطِقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنا من كان ذلك المتأول والمفسِّر، بعد أن لا يكون خارجًا تأويلُه وتفسيره ما تأول وفسر منذ لك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة"(١).

(١) تفسير الطبري: ١/٤١.

الفصل الثالث

قواعد الترجيح اللغوية في سورة الأنبياء والحج

المبحث الأول :القاعدة الأولى: كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو ردٌّ:

كل تفسير خرج بمعاني كتاب الله تعالى عما تدل عليه ألفاظه وسياقه ولم يدل اللفظ على هذا المعنى بأي نوع من أنواع الدلالة مطابقة، أو تضمنا والتزاما، أو مفهوما موافقا، أو مفهوما مخالفا فهو مردود؛ لأنه إذا كان بهذه الصفة كان ضربًا من التخرص والتلاعب لا تقره لغة ولا يرضاه دين ولا عقل وليس من تفسير كلام الله في شيء.

(١)قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

قال الطبري[(١)]: ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق وكيف كان الرتق وبأي معنى فتق فقال بعضهم:

- عنى بذلك أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء. (ابن عباس والحسن وقتادة).
- رتقا ففتقناهما قال فتقهن قال: فتقهن سبع سماوات بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض. (عن مجاهد وأبو صالح، والسدي).
- وقال آخرون: بل عني بذلك أن السماوات كانت رتقا لا تمطر والأرض كذلك رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات. (عكرمة وعطية العوفي وابن زيد).

(١) انظر تفسير الطبري: ١٩/١٧، ٢٠.

- وقال آخرون: إنما قيل: ففتقناهما؛ لأن الليل كان قبل النهار ففتق النهار. (ابن عباس).

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك: " أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا "من المطر والنبات ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله "وجعلنا من الماء كل شيء حي" على ذلك، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه.

(٢) **قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾** [الأنبياء: ٦١].

قال الطبري[١]: واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: "لعلهم يشهدون":

- فقال بعضهم: لعل الناس يشهدون عليه أنه الذي فعل ذلك فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه، وقالوا: إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة. (السُّدي، قتادة).
- وقال آخرون: بل معنى ذلك لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به فيعاينونه ويرونه. (ابن إسحاق).

قال الطبري: وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا: "فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون" عقوبتنا إيّاه؛ لأنه لو أُريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يُقال: انظروا من شهده يفعل ذلك، ولم يقل: أحضروه بمجمع من الناس.

(١) انظر: المصدر السابق: ١٧/٤٠.

(٣) قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٦١].

قال الطبري(١): اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم:

- معناه فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه.
- ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه. (ابن عباس).
- ظن أن لن نقضي عليه عقوبة ولا بلاء. (ابن عباس، الضحاك).
- فظن أن لن نعاقبه بذنبه.(مجاهد، قتادة).
- ظن أن لن نقضي عليه العقوبة. (قتادة والكلبي).

وكل ما سبق بمعنى واحد.

- ظن أنه يُعْجِزُ ربَّه، فلا يقدر عليه. (سعيد بن أبي الحسن، والحسن).
- وقيل: معناه استفهام: أفظن أن لن نقدر عليه؟.(إياس بن معاوية المدني، وابن زيد).

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُنِي به فظن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه عقوبة له على مغاضبته ربه؛ وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة؛ لأنه لا يجوز أن يُنسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوته ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه وصف له بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر وغير جائز لأحد وصفه بذلك،وأما ما قاله ابن زيد فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حَسُن، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك.

والعرب لا تحذف من الكلام شيئًا لهم إليه حاجة، إلا وقد أبقت دليلاً، على أنه مراد في الكلام، فإذا لم يكن في قوله: فظن أن لن نقدر عليه دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد كان معلومًا أنه ليس به، وإذ فسد هذان الوجهان صحّ الثالث وهو ما قلنا.

(١) انظر: المصدر السابق: ١٧/٧٨، ٧٩.

(٤) قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

قال الطبري[١]: إن أهل التأويل اختلفوا في المعني به، فقال بعضهم:

- عُنِي به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مبعد.(علي بن أبي طالب).
- وقال آخرون: بل عُنِي من عُبِدَ من دون الله، وهو لله طائع ولعبادة من يعبد كاره.

(مجاهد، وابن جريج، عكرمة والحسن البصري، سعيد بن المسيب، وأبو صالح، والضحاك).

قال الطبري: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بقوله: ما كان من معبود كان المشركون يعبدونه، والمعبود لله مطيع، وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفار؛ لأن قوله تعالى ذكره: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى" ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم على نحو الذي ذكرنا في الخبر عن ابن عباس، فكأن المشركين قالوا لنبي الله ﷺ: إذ قال لهم: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم"، ما الأمر كما تقول لأنا نعبد الملائكة، ويعبد آخرون المسيح وعزيرًا، فقال عز وجل ردًّا عليهم قولهم: بل ذلك كذلك وليس الذين سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون؛ لأنهم غير معنيين بقولنا: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم.

فأما قول الذين قالوا: ذلك استثناء من قوله: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم: فقول لا معنى له؛ لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جان، وكل هؤلاء إذا ذكرتها العرب فإن أكثر ما تذكرها بـ "من" لا بـ "ما"، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين

(١) انظر تفسير الطبري: ١٧/٩٦: ٩٨.

أخبر أنهم حصب جهنم بـ "ما"، قال: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم". إنما أُريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب، لا من كان من الملائكة والإنس.

فإذا كان ذلك كذلك لما وصفنا، فقوله: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى" جوابٌ من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين، مبتدأ.

(٥) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

قال الطبري[١]: اختلف أهل التأويل في قوله: "مخلقة وغير مخلقة"، فقال بعضهم:

- هي من صفة النطفة، قال: ومعنى ذلك: فإنا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة. قالوا: فأما المخلقة فما كان خلقًا سويًّا، وأما غير مخلقة فما دفعته الأرحام من النطف وألقته قبل أن يكون خلقا. (عبدالله بن مسعود).
- وقال آخرون: معنى ذلك تامة وغير تامة. (قتادة).
- وقال آخرون: معنى ذلك المضغة مصورة إنسانًا وغير مصورة، فإذا صُورت فهي مخلقة، وإذا لم تصور فهي غير مخلقة. (مجاهد، وعامر، وأبو العالية).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلقة المصورة خلقًا تامًّا، وغير مخلقة السقط قبل تمام خلقه؛ لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة، والنطفة بعد مصيرها مضغة لم يبق لها حتى تصير خلقًا سويًّا إلا التصوير، وذلك هو المراد بقوله: "مخلقة وغير مخلقة" خلقا سويا "وغير مخلقة" بأن تلقيه الأم مضغة، ولا تصور ولا ينفخ فيها الروح.

(٦) قوله تعالى: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥].

قال الطبري[١]: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم:

(١) انظر: المصدر السابق: ١١٦/١٧، ١١٧.

- معناه "سواء العاكف فيه" وهو المقيم فيه "والباد"، في أنه ليس أحدهما بأحق بالمنزل فيه من الآخر. (ابن سابط، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وابن عباس، وابن زيد، وقتادة).
- "سواء العاكف فيه" وهو المقيم فيه، "والباد" وهو المنتاب إليه من غيره. (مجاهد، وعطاء).

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا –القول الثاني– في ذلك؛ لأن الله –تعالى ذكره– ذَكَرَ في أول الآية صد من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام، فقال: "إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام" ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام، فقال: "الذي جعلناه للناس" فأخبر –جل ثناؤه– أنه جعله للناس كلهم، فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه، ثم قال: "سواء العاكف فيه والباد" فكان معلومًا أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد إنما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار أنهم صدُّوا عنه المؤمنين به، وذلك لا شك طوافهم وقضاء مناسكهم به، والمقام، لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم.

(٧) قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْها وأَطْعِمُوا القانِعَ والمُعْتَرّ﴾ [الحج: ٣٦].

قال الطبري[٢]: اختلف أهل التأويل في المعني بالقانع والمعتر، فقال بعضهم:

- القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل، والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل. (ابن عباس، مجاهد، القرظي).

(١) انظر: المصدر السابق: ١٣٧/١٧، ١٣٨.
(٢) انظر: المصدر السابق: ١٦٩/١٧: ١٧٠.

- وقال آخرون: القانع الذي يقنع بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يعتريك فيسألك. (ابن عباس، مجاهدا، عكرمة، قتادة، وإبراهيم).
- وقال آخرون: القانع هو السائل والمعتر هو الذي يعتريك ولا يسأل. (الحسن، الكلبي، سعيد بن جبير، زيد بن أسلم).
- وقال آخرون: القانع الجار والمعتر الذي يعتريك من الناس. (مجاهد، إبراهيم).
- وقال آخرون: القانع الطواف والمعتر الصديق الزائر. (زيد بن أسلم).
- وقال آخرون: القانع الطامع والمعتر الذي يعتر بالبدن. (مجاهد، عكرمة).
- وقال آخرون: القانع هو المسكين والمعتر الذي يتعرض للحم. (ابن زيد).
- وقال آخرون: القانع الذي يقنع والمعتر الذي يعتريك سعيد بن جبير. (الحسن، وإبراهيم، ومجاهد).

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عُنِي بالقانع السائل؛ لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل:"وأطعموا القانع والمعتر"، وفي اتباع ذلك قوله:"والمعتر" الدليل الواضح على أن القانع مَعْني به السائل من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعًا.

(٨) **قوله تعالى: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾** [الحج: ٥٥].

قال الطبري[١]: واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أي يوم هو فقال بعضهم:

- هو يوم القيامة. (الضحاك، وعكرمة).

(١) انظر: المصدر السابق: ١٩٣/١٧.

- وقال آخرون: بل عني به يوم بدر. (مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وأُبي بن كعب).

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية؛ لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضًا هو يوم القيامة، فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب وهو ما ذكرنا في معناه.

(٩) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

قال الطبري[١]: اختلف في ذلك، فقال بعضهم معناه:

- إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير. (ابن جريج).
- وقال آخرون: بل معنى ذلك أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير، يعني هين.

وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك، وذلك أن قوله:"إن ذلك على الله يسير" إلى قوله: "إن ذلك في كتاب" أقرب، وهو له مجاور من قوله: "الله يحكمبينكم يوم القيامة" متباعد مع دخول قوله: "ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض" بينهما، فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح.

(١٠)قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

قال الطبري[٢]: اختلف في معنى قوله ضعف الطالب والمطلوب، فقال بعضهم:

(١) انظر: المصدر السابق: ١٧/٢٠٠، ٢٠١.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١٧/٢٠٣.

- عُنِي بالطالب الآلهة، وبالمطلوب الذباب. (ابن عباس).
- وكان بعضهم يقول: معنى ذلك "ضعف الطالب" من بني آدم إلى الصنم حاجته، "والمطلوب" إليه: الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله، يقول: ضَعُف عن ذلك وعَجَز.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ماسلبه اإياه وهو الطيب، وما أشبهه والمطلوب الذباب.

وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك؛ لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فأن يكون ذلك خبرًا عما هو به متصل، أشبه من أن يكون خبرًا عما هو عنه منقطع.

المبحث الثاني: القاعدة الثانية: العموم أولى من التخصيص:

يجب أن تحمل نصوص الوحي العامة على عمومها؛ لأن التشريع جاء عامًّا ما لم يرد نص بالتخصيص،فإذا حمل بعض المفسرين آية أو كلمة على العموم وآخرون على الخصوص فالصواب حملها على العموم، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتما أو يقوم الدليل على ذلك.

(١) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

- قال قتادة: وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادًا للأرض، "وجعلنا فيها فجاجا سبلا"يعني مسالك واحدها فج، وقال: قوله: "وجعلنا فيها فجاجا": أي أعلاما، وقوله سبلا: أي طرقًا، وهي جمع السبيل.
- وقال ابن عباس: قوله: " وجعلنا فيها فجاجا سبلا"، قال: بين الجبال، فالهاء والألف في قوله وجعلنا فيها من ذكر الرواسي.

قال الطبري: وإنما اخترنا القول الآخر –قول قتادة– في ذلك، وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض؛ لأنها إذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل، وذلك أن ذلك كله من الأرض، وقد جعل الله لخلقه في ذلك كله فجاجا سبلا ، ولا دلالة تدل على أنه عنى بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلا دون بعض، فالعموم بها أولى(١).

(٢) قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

قال الطبري(٢)واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية:

- قال بعضهم: هو كهيئة حديدة الرحى. (مجاهد، وابن جريج).
- فلك السماء. (ابن عباس، وقتادة).

(١) انظر: المصدر السابق: ٢١/١٧

(٢) انظر: المصدر السابق: ٢٢/١٧، ٢٣.

- الفلك سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها. (الضحاك).
- وقال آخرون الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه.
- وقال آخرون بل هو القطب الذي تدور به النجوم.
- الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر. (ابن زيد)
- الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل. (الحسن).

والصواب من القول في ذلك أن يقال كم اقال الله –عز وجل–:"كل في فلك يسبحون" وجائز أني كون ذلك الفلك كما قال مجاهد: كحديدة الرحى، وكما ذُكر عن الحسن: كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجًا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء؛ وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر فجمعه أفلاك، ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله ﷺ ولا عمن يقطع بقوله العذر دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان. الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا علم لنا به.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣].

قال الطبري[١]: اختلف أهل التأويل في المعني بذلك وفي معنى يصحبون:

- فقال بعضهم: عُني بذلك الآلهة، وأنها لا تصحب من الله بخير. (قتادة).
- وقال آخرون: بل معنى ذلك ولا هم منا ينصرون. (مجاهد).
- لا يحفظون. (ابن عباس، ومجاهد).
- لا يجارون. (ابن عباس).

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس يصحبون بمعنى يجارون، يصحبون

(١) انظر: المصدر السابق: ١٧/٣٠، ٣١.

بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب بمعنى أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا.

(٤)قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال الطبري[١]: واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله –جل ثناؤه– فقال بعضهم:

- كانت عقيمًا فأصلحها بأن جعلها ولودا. (سعيد بن المسيب، وابن عباس، قتادة).
- وقال آخرون كانت سيئة الخلق فأصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه كما أخبر –تعالى ذكره– بأن جعلها ولودًا حسنة الخلق؛ لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله –جل ثناؤه– بذلك بعضًا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

(٥) قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩].

قال الطبري[٢]: اختلف أهل التأويل في المعني بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله فقال بعضهم:

- أهل الإيمان، والفريق الآخر عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر. (أبو ذر، عطاء بن يسار، قيس بن عباد).
- وقال آخرون ممن قال: أحد الفرقين فريق الإيمان بل الفريق الآخر أهل الكتاب. (ابن عباس).

(١) انظر: المصدر السابق: ١٧/٣٠، ٣١.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١٧/١٣١: ١٣٣.

- وقال آخرون منهم: بل الفريق الآخر الكفار كلهم، من أي ملة كانوا. (مجاهد، وعطاء بن أبي رياح، وأبي قزعة، والحسين، عاصم، والكلبي).
- وقال آخرون: الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية الجنة والنار. (عكرمة).

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال: عُنِي بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا، وجميع المؤمنين.

(٦) **قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾** [الحج: ٢٥].

قال الطبري[١]: واختلف أهل التأويل في معنى الظلم، فقال بعضهم:

- ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به أي بالبيت. (ابن عباس، ومجاهد، وسليمان، وقتادة).
- وقال آخرون: هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه. (ابن عباس مجاهد، عبد الله بن مسعود، الضحاك، ابن زيد).
- وقال آخرون: بل معنى ذلك الظلم استحلال الحرم متعمدا. (ابن عباس).
- وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة. (حبيب بن أبي ثابت).
- وقال آخرون: بل ذلك كل ما كان منهيًّا عنه من الفعل حتى قول القائل: لا والله، وبلى والله. (مجاهد عن عبد الله بن عمرو).

قال أبو جعفر وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عم بقوله: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم"، ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه.

(١) انظر:المصدر السابق: ١٧/١٤٠، ١٤١.

(٧) قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨].

قال الطبري[١]: اختلف أهل التأويل في معنى المنافع، فقال بعضهم:

- هي التجارة ومنافع الدنيا.(ابن عباس، سعيد بن جبير).
- وقال آخرون: هي الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا.(مجاهد).
- وقال آخرون: بل هي العفو والمغفرة. (أبو جعفر، محمد بن علي).

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك "ليشهدوا منافع لهم" من العمل الذي يرضي الله والتجارة؛ وذلك أن الله عمَّ لهم منافع جميع ما يَشهد له الموسم ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئًا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وُصفت.

(٨) قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

قال الطبري[٢]: يقول تعالى ذكره هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور حنفاء لله وتعظيم شعائر الله وهو استحسان البدن واستسمانها وأداء مناسك الحج على ما أمر الله جل ثناؤه من تقوى قلوبكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: (ابن عباس،ومجاهد،وابن زيد).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إن الله –تعالى ذكره– أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما جعله أعلامًا لخلقه فيما تَعبَّدَهم به من مناسك حجهم من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها، والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم من تقوى قلوبهم، لم يخصص من ذلك شيئًا، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه، وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك.

---

(١) انظر المصدر السابق: ١٧/٣٠، ٣١.

(٢) انظر المصدر السابق: ١٧/١٥٦، ١٥٧.

(٩) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [الحج: ٤٠].

قال الطبري[١]:اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم:

- ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين. (ابن جريج).
- وقال آخرون: معنى ذلك ولولا القتال والجهاد في سبيل الله. (ابن زيد).
- وقال آخرون: بل معنى ذلك ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله ﷺ عمن بعدهم من التابعين. (علي بن أبي طالب).
- وقال آخرون: بل معنى ذلك لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض، يقول: لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله –تعالى ذكره– أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض لهُدِّم ما ذُكر من دفعه تعالى ذكرُه بعضَهم ببعض، وكَفِّه المشركين بالمسلمين عن ذلك، ومنه كَفُّه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم، ومنه كَفُّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قِبَله حق ونحو ذلك.

وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم وما سَمَّى جل ثناؤه.

ولم يضع الله –تعالى– دلالة في عقل على أنه عُنِي من ذلك بعضًا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا.

(١) انظر المصدر السابق: ١٧/١٧٤، ١٧٥.

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة: التأسيس أولى من التأكيد

التأسيس لغة من الأساس، وهو أصل البناء وفي الاصطلاح: إفادة معنى آخر لم يكن حاصلا قبلا.

والتأكيد هو: تقوية مدلول ما ذكر بلفظ آخر وهو إما معنوي كقولك: "جاء القوم كلهم أجمعون" أو لفظي وهو: إعادة اللفظ الأول بعينه وهو المراد في هذه القاعدة، فإذا احتمل اللفظ أو الجملة أو الجملة من كتاب الله تعالى أن يكون مؤكدا للفظ –أو جملة– سابق، أو يكون مفيدا لمعنى جديد لم يسبق في الكلام فحمله على الإفادة أولى من حمله على الإعادة(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

قال الطبري(٢): يعنيبه الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة فيقول بعضهم.

- قال: الفرقان الكتاب (التوراة). (مجاهد، وقتادة).
- الفرقان الحق آتاه الله موسى وهارون فرق بينهما وبين فرعون فقضى بينهم بالحق. (ابن زيد).

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل؛ وذلك لدخول الواو في الضياء. ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال مَن قال ذلك لكان التنزيل ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءً؛ لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصَّرهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل.

---

(١) حسين على الحربي: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٤٧٣/١.

(٢) انظر المصدر السابق: ٨٣/١٧.

المبحث الرابع: القاعدة الرابعة: ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل القرآن عليه:

هذه القاعدة تضبط التفسير اللغوي وتقيده بقبول السياق له، وأنه لا يُنظر في التفسير اللغوي إلى ثبوته في اللغة فحسب، بل لا بد مع ذلك من مراعاة السياق القرآني ولذلك خطئ قول من أهمل السياق القرآني وأسباب النزول والقرائن التي حفت بالخطاب حال التنزيل واعتمد على مجرد اللغة فحسب؛ لأن في ذلك إهمالا لغرض المتكلم به –سبحانه– من كلامه، ولكل كلمة معنى في سياق قد لا يحصل في سياق آخر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥].

قال الطبري(١): وقوله: "ثم نكسوا على رؤوسهم" يقول –جل ثناؤه–: ثم غُلبوا في الحجة فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون، قاله ابن إسحاق.

- وعن قتادة قال الله ثم نكسوا على رؤوسهم أدركت الناس حيرة سوء.
- وقال آخرون معنى ذلك ثم نكسوا في الفتنة، قاله السدي.
- وقال بعض أهل العربية معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك؛ لأن نَكْسَ الشيء على رأسه: قلبه على رأسه، وتصيير أعلاه أسفله. ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رؤوس أنفسهم، وأنهم إنما نكست حجتهم فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم.

(١) انظر المصدر السابق: ١٤٦/١٧، ١٤٧.

المبحث الخامس: القاعدة الخامسة:

يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر

يجب أن يُفسر القرآن ويحمل على أحسن المحامل وأفصح الوجوه، فلا يحمل على معنى ركيك ولا لفظ ضعيف، وإنما يُحمل على المعروف من كلام العرب من الأوجه المطردة دون الشاذة والضعيفة، ويحمل على الأكثر استعمالا دون القليل والنادر، ويحمل على المعاني والعادات والعرف الذي نزل به القرآن والسنة دون ما حدث واستجد بعد التنزيل، وذلك لأن القرآن أفصح الكلام.

(١) قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢].

قال الطبري[(١)]: واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: نافلة، فقال بعضهم:

- عُني به يعقوب خاصة. (ابن عباس، وقتادة، واب نزيد).
- وقال آخرون: بل عني بذلك إسحاق ويعقوب.
- وقالوا: وإنما معنى النافلة العطية، وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما إياه. (عطاء، مجاهد).

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا فيما مضى قَبْل أنَّ النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أي شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضَّل به على إبراهيم وهبة منه له، وجائز أن يكون عني به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عني أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدل على أي ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله: ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

قال الطبري[(١)]: واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان:

(١) انظر المصدر السابق: ١٧/٤٨.

- فقال بعضهم: كان نبتا. إسحاق عن (مرة، وقتادة).
- وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كرما. (ابن مسعود، وشريح).

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى: "إذ يحكمان في الحرث"، والحرث إنما هو حرث الأرض.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

قال الطبري[٢]:اختلف أهل التأويل في المعني بهذه الظلمات:

- قال بعضهم عُني بها ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. (عمرو بن ميمون ابن جريج، ابن عباس، محمد بن كعب، قتادة).
- وقال آخرون إنما عَنى بذلك أنه نادى في ظلمة جوف حوت في جوف حوت آخر في البحر

قالوا فذلك هوالظلمات. (سالم بن أبي الجعد).

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ولا شك أنه قد عَنى بإحدى الظلمات بطن الحوت، وبالأخرى ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف. وجائز أن تكون تلك الثالثة ظلمة الليل، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

قال الطبري[٣]: واختُلف في الفرج الذي عنى الله –جل ثناؤه أنها– أحصنته فقال بعضهم:

- عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة.
- وقال آخرون: عنى بذلك جيب درعها، أنها منعت جبرائيل منه قبل أنتعلم أنه رسول ربها، وقبل أن تثبته معرفة.

---

(١) انظر المصدر السابق: ٥١/١٧.

(٢) انظر المصدر السابق: ٨٠/١٧.

(٣) انظر المصدر السابق: ٨٤/١٧.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول منقال: أحصنت فرجها من الفاحشة؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه والأظهر في ظاهر الكلام.

(٥) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قال الطبري[١]: اختلف أهل التأويل في معنى السجل، فقال بعضهم:

- هو اسم ملك من الملائكة. (ابن عمر،السدي).

وقال آخرون: السجل رجل كان يكتب لرسول اللهﷺ. (ابن عباس).

- وقال آخرون: بل هو الصحيفة التي يُكتب فيها. (ابن عباس، مجاهد).

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يُعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه، ولا يُعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

(٦) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

قال الطبري[٢]: اختلف أهل التأويل في المعنى بالزبور والذكر في هذا الموضع فقال بعضهم:- عني بالزبور كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم، وعني بالذكر أم الكتاب التي عنده في السماء. (سعيد بن جبير، ومجاهد، وابن زيد).

- وقال آخرون: بل عُني بالزبور الكتب التي أنزلها الله على من بعد موسى من الأنبياء، وبالذكر التوراة. (ابن عباس، الضحاك، الشعبي).

قال الطبري: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق

(١) انظر المصدر السابق: ٩٩/١٧، ١٠٠.

(٢) انظر المصدر السابق: ١٠٤/١٧.

السماوات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب، يقال منه: زبرت الكتاب وذبرته. إذا كتبته، وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه فهو ذِكر.

(٧) **قوله تعالى: ﴿وَبِيَعٌ﴾** [الحج: ٤٠].

قال الطبري[١]: وقد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم مثل الذي قلنا في ذلك– بيع النصارى – (رُفَيع، قتادة، الضحاك).

- وقال آخرون عني بالبيع في هذا الموضع كنائس اليهود. (مجاهد، ابن زيد).

قوله: **﴿وَصَلَوَاتٌ﴾** [الحج: ٤٠].

اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم:

- عني بالصلوات الكنائس. (ابن عباس، والضحاك، وقتادة).
- وقال آخرون عني بالصلوات مساجد الصابئين. (أبو العالية، رُفَيع).
- وقال آخرون هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق. (مجاهد، وابن زيد).

وقوله: **﴿وَمَسَاجِدُ﴾** اختُلف في المساجد التي أريدت بهذا القول فقال بعضهم:

- أريد بذلك مساجد المسلمين. (رفيع، قتادة).
- وقال آخرون عني بقوله ومساجد الصوامع والبيع والصلوات. (الضحاك).
- وقال بعضهم إنما يعني مواضع الصلوات.
- وقال بعضهم إنما هي صلوات وهي كنائس اليهود تدعى بالعبرانية صلوتا.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك لهدمت صوامع الرهبان، وبيع النصارى، وصلوات اليهود وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا.

(١) انظر المصدر السابق: ١٧/١٧٧، ١٧٨.

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم، وما خالفه من القول، وإن كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه إليه من وجهه إليه.

(٨) قوله تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

قال الطبري[١]: اختلف أهل التأويل في معنى قوله وقصر مشيد فقال بعضهم:

- معناه وقصر مجصص. (عكرمة، ومجاهد، عطاء، سعيد بن جبير).
- وقال آخرون: بل معنى ذلك وقصر رفيع طويل.(قتادة، الضحاك).

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بالمشيد المجصص؛ وذلك أن الشِّيدَ في كلام العرب هو الجِص.

(٩) قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الطبري[٢]: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: "وجاهدوا في الله حق جهاده"، فقال بعضهم معناه:

- وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده. (ابن عباس).
- وقال آخرون: بل معنى ذلك لا تخافوا في الله لومة لائم، قالوا: وذلك هو حق الجهاد. (ابن عباس).
- وقال آخرون: معنى ذلك اعملوا بالحق حق عمله. (الضحاك).

والصواب من القول في ذلك قول من قال: عُنِي به الجهاد في سبيل الله؛ لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله. وحق الجهاد هو استفراغ الطاقة فيه.

(١) انظر المصدر السابق: ١٧/١٨٠، ١٨١.

(٢) انظر المصدر السابق: ١٧/٢٠٥

الخاتمة

بعد هذه الدراسة حول الإمام الإمام الطبري وتفسيره وترجيحاته اللغوية، نستطيع أن نخلص إلى النتائج التالية:

- كان للطبري –رحمه الله– مكانتة كبيرة، فهو أحد الأئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله.
- تفسير الطبري من أجل التفاسير وأصحها، لم يُصنِّف أحدٌ مثله.
- غلب على تفسير الإمام الطبري التفسير بالمأثور، وكان ضابط اهتمامه باللغة عدم الخروج عن أقوال السلف من الصحابة والتابعين.
- اهتم الإمام الطبري بقواعد الترجيح المتعلقة بالسياق وباستعمال لغة العرب، وتميز بتحريرها والترجيح بها.
- على الرغم من أهمية قواعد الترجيح في تعيين المراد من آيات القرآن الكريم، إلا أن العلماء المتقدمين لم يفردوا هذه القواعد بالتصنيف والتأليف، بل بثوها في تضاعيف تفاسيرهم، وأحياناً في مقدماتهم.
- من ميزات تفسير الإمام الطبري اهتمامه باختلاف المفسرين والترجيح بين أقوالهم على أُسس علمية منهجية، وهو ما أراده الإمام من تفسيره أن يكون جامعًا لأقوال العلماء وآراء المجتهدين وترجيح الراجح بين أقوالهم.
- اشتمل تفسير الطبري على ثروة لغوية متعددة، والتي تعتبر كنزًا ثميناً ومرجعًا مهمًّا في بابها، يرجع إلى ما كان عليه صاحبنا من المعرفة الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب، معرفةً لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ.
- البحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره لم تكن أمرًا مقصودًا لذاته، وإنما كانت وسيلة للتفسير، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض، كما يحاول بذلك –أحياناً– أن يُوفِّق بين ما صحَّ عن السلف، وبين المعارف اللغوية، بحيث يُزيل ما يُتوهم من التناقض بينهما.
- استعمل الطبري الترجيح اللغوي في سورة الأنبياء والحج في ثلاثين موضعًا، رجّح به خلاف المفسرين.

المصادر والمراجع

- ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي (ت: ٩٧٢ هـ)، **شرح الكوكب المنير**، دارالنشر: جامعة أمالقرى- معهد البحوث العلمية – ١٤١٣ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد.
- ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، (ت: ٧٢٨ هـ)، **مجموع الفتاوى الكبرى**، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
- ابن جرير، أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد (ت: ٧٤١ هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.
- ابن عاشور، محمد الفاضل: **التفسير ورجاله**، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠ هـ.
- ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) دار النشر: دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤ هـ)، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف – بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت: ٧١١ هـ)، **لسان العرب**، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.

- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م .
- الحربي، حسين بن علي، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، دار القاسم/الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦ هـ)، **معجم الأدباء**، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ هـ – ١٩٩١م، الطبعة: الأولى.
- الخطيب، أحمد بن علي أبوبكر البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية –بيروت.
- الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم، **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر**، مؤسسة الرسالة، ط ١٩، ٢٠٠١م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ)، **سير أعلام النبلاء**، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣، الطبعة التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **العبر في خبر من غبر**، دار النشر: مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٤، الطبعة الثانية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، (ت: ٧٤٨ هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

- الذهبي، محمد حسين (ت: ١٩٧٥م)، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة.
- الزحيلي، محمد، **الإمام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين**، دار القلم –دمشق– ٢٠٠٨م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله (ت: ٧٩٤ هـ)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار النشر: دار الكتب العلمية– لبنان/ بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر.
- السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١ هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، دارالنشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبدالفتاح محمد الحلو.
- سزكين، فؤاد، **تاريخ التراث العربي**، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى – د سعيد عبدالرحيم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت: ٩١١ هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، دار النشر: دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت:٣١٠)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ هـ.
- الطيار، مساعد بن سليمان، **فصول في أصول في التفسير**، دار ابن الجوزي. الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ هـ)، **القاموس المحيط**، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، (ت: ٦٤٦ هـ)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت الطبعة : الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.
- القيام، عمر حسن القيام، **محمود محمد شاكر الرجل والمنهج**، دار البشير/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٠٩٤ هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان.